

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى ضمن النصر لمن نصره و أيد بسلطان الحق من عرف سبيله فأبصره و سلب التوفيق عمن ألحد فيه و أنكره. و إليه الرغبة فى إدامة النعمة و به نعوذ من العذاب و النقمة. و صلواته على سيدنا محمد و آله الأئمة المهدية و سلم كثيرا. و بعد فإننى قد خلدت من الكلام فى وجوب الإمامة و اختصاص مستحقها ع بالعصمة و تمييزهم من رعاياهم بالكمال و الفضل بمحاسن الأفعال و الأعلام الدالة على الصدق منهم فى الدعوى إلى ما دعوا إليه من الاعتقادات و الأعمال و النصوص الثابتة عليهم من الله تعالى بجلى المقال

و أوضحت عن فساد مذاهب المخالفين فى ذلك و الذاهبيين بالجهل و الضلال بما قد ظهر فى الخاص من الناس و العام و اشتهرت بين الجمهور من الأنام. و بينت عن أسباب ظهور دعوة الناطقين منهم إلى الدين و صمت المتقين عن ذلك لضرورتهم إليه بظلم الجبارين و الإشفاق على مهجهم من المبيحين لدمائهم المعتدين بخلاف قتلة النبيين و المرسلين فيما استحلوه من ذلك بما ضمه الفرقان و القرآن المبين فيما ثبت فى غيبة خاتم الأئمة المهديين عليهم أفضل السلام و التسليم و استتاره من دولة الظالمين ما دل على إيجابه إلى ذلك و ضرورته إليه مثمر العلم به و اليقين. و تجدد بعد الذى سطرته فى هذه الأبواب و شرحت معانيه على وجه السؤال فيه و الجواب و شواهد الحق فيه بحجة العقل و السنة و الكتاب رغبة ممن أوجب له حقا و أعظم له محلا و قدرا و أعتقد فى قضاء حقه و وفاق مشربه لازما و فرضا فى إثبات نكت من فصول خطرت بباله فى مواضع ذكرها يختص القول فيها بإمامة صاحب الزمان عليه و على آباءه أفضل السلام أثر أن يكون القول فيها على ترتيب عينه و ميزه من جملة ما فى بابيه و بينه. فاستخرت الله تعالى فى رسم ما ذكره من الفصول و القول فيها بما تعم

معرفته ذوى العقول و لا يحتاج معه إلى فكر يمتد زمانه و يطول و يستغنى به

الفصول العشرة ص : ٤٣

عن الرجوع إلى العمدة التي أودعتها كتبى السالفة فى ذلك و مهذبها فيها من الأصول و بالله أستعين.

الفصول العشرة ص : ٤٥

ذكر الفصول على ترتيبها و نظامها و شرحها و مواضع الشبهات فيها الفصل الأول القول فيما يدعيه الإمامية من وجود خلف لأبى محمد الحسن بن على بن محمد بن على الرضا ولد فى حياته مع خفاء ذلك على أهله و استتاره عن بنى عمه و أوليائهم و أعدائهم فى وقته إلى هذه الغاية لم يشرك الإمامية فى دعوى ذلك غيرهم من الناس. الفصل الثانى إنكار جعفر بن على بن محمد بن على أخى الحسن بن على دعوى الإمامية ولدا له و حوزة ميراثه و التظاهر بتكذيب من ادعى لأخيه ولدا فى حياته و بعد وفاته و رفع خبر المدعين ذلك إلى السلطان حتى بعثه على حبس جواريه و استبراء حالهم فى الحمل فلم يظهر لواحدة منهم

الفصول العشرة ص : ٤٦

حملا و صار ذلك شبهة فى إبطال دعوى ولد الحسن ع. الفصل الثالث وصية الحسن ع المشهورة إلى والدته المسماة بحديث المكناة بأم الحسن فى وقوفه و صدقاته و إمضائها على شروطها و لم يذكر فيها ولدا له موجودا و لا منتظرا. الفصل الرابع ما الداعى إلى ستر ولادته و السبب إلى خفاء أمره و غيبته مع ظهور نسب آبائه و ولادتهم و نشئهم و اشتهار وجودهم و قد كانوا فى أزمان التقية فيها أشد من زمن الحسن بن على بن محمد و خوفهم فيها من ملوك بنى أمية و من بعدهم أعظم و لم يرغب أحد منهم و لا خفيت ولادته و وجوده عن الناس. الفصل الخامس خروج دعوى الإمامية فى غيبة الإمام عن حكم العادة فى استتاره عن

الفصول العشرة ص : ٤٧

الخلق طول المدة التى يدعونها لصاحبهم و انسداد الطرق إلى الوصول إليه و عدم معرفة مكان له على حال. الفصل السادس انتقاض العادة فى دعوى طول عمره و بقاءه منذ ولد على قول الإمامية قبل وفاة أبيه بسنين و كانت وفاته فى سنة ستين و مائتين إلى وقتنا هذا و هو سنة عشرة و أربعمئة. الفصل السابع أن غيبته متى صحت على الوجه الذى تدعيه الإمامية بطلت الحاجة إليه إذ كان وجود منعها كعدمه من العالم و لا تظهر له دعوة و لا تقوم له حجة و لا يقيم حدا و لا ينفذ حكما و لا يرشد مسترشدا و لا يأمر بمعروف و لا ينهى عن منكر و لا يهدى ضالا و لا يجاهد فى الإسلام. الفصل الثامن بطلان دعوى الإمامية

الفصول العشرة ص : ٤٨

فى الغيبة بما به اعتصموا فى إنكار قول الممطورة أن موسى بن جعفر ع حى موجود غائب منتظر و بما به شنعوا على الكيسانية

الفصول العشرة ص : ٤٩

و الناووسية و الإسماعيلية فى دعواهم حياة أئمتهم محمد بن الحنفية و جعفر بن محمد الفصول العشرة ص : ٥٠

و إسماعيل بن جعفر و تناقض مقالهم فى ذلك. الفصل التاسع اعتراف الإمامية بأن الله تعالى أباح للإمام الاستتار عن الخلق و سوغ له الغيبة عنهم بحيث لا يلقاه أحد منهم فيعرفه بالمشاهدة لطفا له فى ذلك و لهم و إقرارهم بأن الله سبحانه لا يبيح إلا ما هو صلاح و لا يسوغ إلا ما هو فى التدبير صواب و لا يفعل بعباده إلا ما بهم حاجة إليه ما دامت المحنة و التكليف باقيا و هذا ينقض قولهم فى مشاهدته و أخذ معالم الدين فيه مصلحة تامة و أن بظهوره تمام المصالح و النظام و التدبير. الفصل العاشر اضطراب الإمامية عند

الفصول العشرة ص : ٥١

قولهم بالغيبة فى إثبات الأعلام بالمعجزات لإمامهم عند ظهوره إذ كان لا يعرفه متى

ظهر أحد بشخصه و إنما يصل إلى معرفته بمعجزه الدال على صدقه بصحة نسبه و ثبوت إمامته و وجوب طاعته و هذا إخراج الآيات عن دلائلها و إيجاب لظهورها على غير من اختصت به من الأنبياء و الرسل ع و فى ذلك إفساد أدلة النبوة و أعلام الرسالة و ذلك باطل باتفاق أهل الملل كلها

الفصول العشرة ص : ٥٣

الكلام فى الفصل الأول

و أقول إن استتار ولادة المهدي بن الحسن بن على ع عن جمهور أهله و غيرهم و خفاء ذلك عليهم و استمرار استتاره عنهم ليس بخارج عن العرف و لا مخالفا لحكم العادات بل العلم محيط بتمام مثله فى أولاد الملوك و السوقة لأسباب تقتضيه لا شبهة فيها على العقلاء. فمنها أن يكون للإنسان ولد من جارية قد أستر تملكها من زوجته و أهله فتحمل منه فيخفى ذلك عن كل من يشفق منه أن يذكره و يستره عمن لا يأمن إذاعة الخبر به لئلا يفسد الأمر عليه مع زوجته بأهلها و أنصارها و يتم الفساد به ضرر عليه يضعف عن دفاعه عنه و ينشأ الولد و ليس أحد من أهل الرجل و بنى عمه و إخوانه و أصدقائه يعرفه و يمر على ذلك إلى أن يزول خوفه من الإخبار عنه فيعرف به إذ ذاك

الفصول العشرة ص : ٥٤

و ربما تم ذلك إلى أن تحضره وفاته فيعرف به عند حضورها تخرجها من تضييع نسبه و إثارة لوصوله إلى مستحقه من ميراثه. و قد يولد للملك ولد لا يؤذن به حتى ينشأ و يتزعزع فإن رءاه على الصورة التى تعجبه و قد ذكر الناس ذلك عن جماعة من ملوك الفرس و الروم و الهند فى الدولتين معا فسطروا أخبارهم فى ذلك و أثبتوا قصة كيخسرو بن سياوخش بن كيقاوس ملك الفرس الذى جمع ملك بابل و المشرق

الفصول العشرة ص : ٥٥

و ما كان من ستر أمه حملها و إخفاء ولادتها لكيخسرو و أمه هذه المسماة بوسفافرید بنت فراسيا ب ملك الترك فخفى أمره مع الجد كان من كيقاوس جده الملك الأعظم فى

البحث عن أمره و الطلب له فلم يظفر بذلك حيناً طويلاً. و الخبر بأمره مشهور و سبب ستره و إخفاء شخصه معروف قد ذكره علماء الفرس و أثبتته محمد بن جرير الطبري في كتابه التاريخ.

الفصول العشرة ص : ٥٦

و هو نظير لما أنكره الخصوم في خفاء أمر ولد الحسن بن علي ع و استتار شخصه و وجوده و ولادته بل ذلك أعجب. و من الناس من يستر ولده عن أهله مخافة شنعتهم في حقه و طمعهم في ميراثه ما لم يكن له ولد فلا يزال مستورا حتى يتمكن من

الفصول العشرة ص : ٥٧

إظهاره على أمان منه عليه ممن سميناه. و منهم من يستر ذلك ليرغب في العقد له من لا يؤثر مناكحة صاحب الولد من الناس فيتم له في ستر ولده و إخفاء شخصه و أمره و التظاهر بأنه لم يتعرض بنكاح من قبل و لا له ولد من حرة و لا أمة و قد شاهدنا من فعل ذلك و الخبر عن النساء به أظهر منه عن الرجال. و اشتهر من الملوك من ستر ولد و إخفاء شخصه من رعيته لضرب من التدبير في إقامة خليفة له و امتحان جنده بذلك في طاعته إذ كانوا يرون أنه لا يجوز في التدبير استخلاف من ليس له بنسب مع وجود ولده ثم يظهر بعد ذلك أمر الولد عند التمكن من إظهاره برضى القوم و صرف الأمر عن الولد إلى غيره أو لعزل مستخلف عن المقام على وجه ينتظم للملك أمور لم يكن يتمكن من التدبير الذي كان منه على ما شرحناه. و غير ذلك مما يكثر تعداده من أسباب ستر الأولاد و إظهار موتهم و استتار الملوك أنفسهم و الإرجاف بوفاتهم و امتحان رعاياهم بذلك و أغراض لهم معروفة قد جرت من المسلمين بالعمل عليها العادات. و كم وجدنا من نسيب ثبت بعد موت أبيه بدهر طويل و لم يكن أحد من الخلق يعرفه بذلك حتى شهد له بذلك رجلا ن مسلما ن و ذلك لداع دعا الأب إلى ستر ولادته عن كل أحد من قريب و بعيد إلا من شهد

الفصول العشرة ص : ٥٨

به من بعد عليه بإقراره به على الستر لذلك و الوصية بكتمانه أو بالفراش الموجب

لحكم الشريعة إلحاق الولد بوالده

فصل

و قد أجمع العلماء من الملل على ما كان من ستر ولادة أبي إبراهيم الخليل ع و أمه لذلك و تدبيرهم في إخفاء أمره عن ملك زمانه لخوفهم عليه منه. و بستر ولادة موسى بن عمران ع و بمجىء القرآن بشرح ذلك على البيان و الخبر بأن أمه ألقته في اليم على ثقة منها بسلامته و عوده إليها و كان ذلك منها بالوحي إليها به بتدبير الله جل و علا لمصالح العباد. فما الذي ينكر خصوم الإمامية من قولهم في ستر الحسن ع ولادة ابنه المهدي عن أهله و بنى عمه و غيرهم من الناس و أسباب ذلك أظهر من أسباب ستر من عددناه و سميناه و سنذكرها عند الحاجة إلى ذكرها من بعد إن شاء الله.

الفصول العشرة ص : ٥٩

و الخبر بصحة ولد الحسن ع قد ثبت بأوكد ما تثبت به أنساب الجمهور من الناس إذ كان النسب يثبت بقول القابلة و مثلها من النساء اللاتي جرت عادتهن بحضور ولادة النساء و تولى معونتهم عليه و باعتراف صاحب الفراش وحده بذلك دون من سواه و بشهادة رجلين من المسلمين على إقرار الأب بنسب الابن منه. و قد ثبتت أخبار عن جماعة من أهل الديانة و الفضل و الورع و الزهد و العبادة و الفقه عن الحسن بن علي ع أنه اعترف بولده المهدي ع و آذنهم بوجوده و نص لهم على إمامته من بعده و بمشاهدة بعضهم له طفلا و بعضهم له يافعا و شابا كاملا و إخراجهم إلى شيعته بعد أبيه الأوامر و النواهي و الأجوبة عن المسائل و تسليمهم له حقوق الأئمة من أصحابه. و قد ذكرت أسماء جماعة ممن وصفت حالهم من ثقات الحسن بن علي ع و خاصته المعروفين بخدمته و التحقيق به و أثبت ما رووه عنه في وجود ولده و مشاهدتهم من بعده و سماعهم النص بالإمامة عليه. و ذلك موجود في مواضع من كتبى و خاصة في كتابى المعروف أحدهما

الفصول العشرة ص : ٦٠

بالإرشاد فى معرفة حجج الله على العباد و الثانى بالإيضاح فى الإمامة و الغيبة. و وجود ذلك فيما ذكرت يغنى عن تكلف إثباته فى هذا الكتاب

الفصول العشرة ص : ٦١

الكلام فى الفصل الثانى

و أما المتعلق بإنكار جعفر بن على شهادة الإمامية بولد لأخيه الحسن بن على ع ولد فى حياته بعده و الحوز لتركته بدعوى استحقاقها بميراثه مثلاً دون ولد له و ما كان منه من حمل أمير الوقت على حبس جوارى الحسن ع و استبدالهن بالاستبراء لهن من الحمل ليتأكد بقية لولد أخيه و إباحته دماء شيعة الحسن بدعواهم خلفاً من بعده كان أحق بمقامه من بعده من غيره و أولى بميراثه ممن حواه. فليس بشبهه يعتمدها عاقل فى ذلك فضلاً عن حجة لاتفاق الأمة على أن جعفر لم يكن له عصمة الأنبياء فيمتنع عليه لذلك إنكار حق و دعوى باطل بل كان من جملة الرعية التى يجوز عليها الزلل و يعتريها السهو و يقع منها الغلط و لا يؤمن منها تعمد الباطل و يتوقع منها

الفصول العشرة ص : ٦٢

الضلال. و قد نطق القرآن بما كان من أسباط يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليه و على ولده الأنبياء و آباءه المنتجبين الأصفياء و كافة المرسلين الصلاة الدائمة و التحية و السلام فى ظلم أخيه يوسف ع و إلقاءهم له فى غيابت الجب و تقريرهم بدمه بذلك و بيعهم إياه بالثمن البخس و نقضهم عهده فى حراسته و تعمدهم معصيته فى ذلك و حقوقه و إدخال الهم عليه بما صنعوه بأحب ولده إليه و أوصلوه إلى قلبه من الغم بذلك و تمويههم على دعواهم على الذئب أنه أكله بما جاءوا به على قميصه من الدم و يمينهم بالله العظيم على براءتهم مما اقترفوه فى ظلمه من الإثم و هم لما أنكروه متحققون و بطلان ما ادعوه فى أمر يوسف ع عارفون. هذا و هم أسباط النبیین و أقرب الخلق نسباً بنى الله و خليله إبراهيم. فما الذى ينكر ممن هو دونهم

فى الدنيا و الدين أن اعتمد باطلا يعلم خطؤه فيه على اليقين و يدفع حقا قد قامت
عليه الحجج الواضحة و البراهين
الفصول العشرة ص : ٦٣

فصل

و ما أرى المتعلق فى إنكار وجود ولد الحسن بن على بن محمد ع و قد قامت بينة العقل
و السمع به و دل الاعتبار الصحيح على صواب معتقده بدفع عمه لذلك مع دواعيه
الظاهرة كانت إليه بحوز تركة أخيه دونه مع جلالته و كثرته و عظم خطرته لتعجل
المنافع بها و النهضة بآربه عند تملكها و بلوغ شهواته من الدنيا بحوزها و دعوى
مقامه الذى جل قدره عند الكافة باستحقاقه له دون من عداه من الناس و بخعت الشيعة
كلها بالطاعة له بما انطوت عليه من اعتقادها لوجوبه له دون من سواه و طمعه بذلك
فى مثل ما كان يصل إليه من خمس الغنائم التى كانت تحملها شيعته إلى و كلائه فى
حياته و استمرارها على ذلك بعد وفاته و زكوات الأموال لتصل إلى مستحقها من فقراء
أصحابه. إلا كتعلق أهل الغفلة من الكفار فى إبطال عمه أبى لهب صدق
الفصول العشرة ص : ٦٤

دعوته و جحد الحق فى نبوته و الكفر بما جاء به و دفع رسالته و مشاركة أكثر ذوى
نسبه من بنى هاشم و بنى أمية لعمه فى ذلك و اجتماعهم على عداوته و تجريدهم
السيف فى حربه و اجتهدهم فى استئصاله و متبعية على ملته. هذا مع ظهور حجته و
وضوح برهانه فى نبوته و ضيق الطريق فى معرفة ولادة الحجة بن الحسن على جعفر و
أمثاله من البعداء عن علم حقيقته. و من صار فى إنكار شيء أو إثباته أو صحته و فساد
إلى مثل التعلق بجعفر بن على فى جحد وجود خلف لأخيه و ما كان من أبى جهل و
شركائه من أقارب النبى ص و جيرانه و أهل بلده و الناشئين معه فى زمانه و العارفين
بأكثر سر أمره و جهره و أحواله فى دفع نبوته و إنكار صدقه فى دعوته. سقط كلامه عند
العلماء و لم يعد فى جملة الفقهاء و كان فى أعداد ذوى

الفصول العشرة ص : ٦٥

الجهل و السفهاء

فصل

و بعد فإن الشيعة و غيرهم ممن عنى بأخبار الناس و الجواد من الآراء و أسبابها و الأغراض كانت له فيها قد ذكروا أخبارا عن أحوال جعفر بن على فى حياة أخيه أبى محمد الحسن بن على ع و أسباب إنكاره خلفا له من بعده و جحد ولد كان له فى حياته و حمل السلطان على ما سار به فى مخلفيه و شيعته لو أوردتها على وجهها لتصور الأمر فى ذلك على حقيقته و لم يخف على متأمل بحاله و عرفه على خطيئته. لكنه يمنعنى عن ذلك موانع ظاهرة أحدها كثرة من يعترف بالحق من ولد جعفر بن على فى وقتنا هذا و يظهر التدين بوجود ولد الحسن بن على فى حياته و مقامه بعد وفاته فى الأمر مقامه و يكره إضافة خلافه لمعتقده فيه إلى جده بل لا أعلم أحدا من ولد جعفر بن على فى وقتنا هذا يظهر خلاف الإمامية فى وجود ابن الحسن ع و التدين بحياته و الانتظار لقيامه.

الفصول العشرة ص : ٦٦

و العشرة الجميلة لهؤلاء السادة أيدهم الله بترك إثبات ما سبق به من سميت فى الأخبار التى خلدوها فيما وصفت أولى. مع غناى عن ذلك بما أثبت من موجز القول فى بطلان الشبهة لتعلق ضعفاء المعتزلة و الحشوية و الزيدية و الخوارج و المرجئة فى

الفصول العشرة ص : ٦٧

إنكار جعفر بن على لوجود ابن الحسن بن على حسب ما أورده السائل عنهم فيما سأل فى الشبهات فى ذلك و الله الموفق للصواب

الفصول العشرة ص : ٦٩

الكلام فى الفصل الثالث

و أما تعلقهم بوصية أبى محمد الحسن بن على بن محمد ع فى مرضه الذى توفى فيه إلى والدته المسماة بحديث المكناة بأم الحسن رضى الله عنها بوقوفه و صدقاته و

إسناد النظر فى ذلك إليها دون غيرها. فليس بشيء يعتمد فى إنكار ولد له قائم من بعده مقامه من قبل أنه أمر بذلك تمام ما كان من غرضه فى إخفاء ولادته و ستر حاله عن متملك الأمر فى زمانه و من يسلك سبيله فى إباحة دم داع إلى الله تعالى منتظر لدولة الحق. و لو ذكر فى وصيته ولدا له و أسندها إليه لناقض ذلك الغرض منه فيما ذكرناه و نافى مقصده فى تدبير أمره له على ما وصفناه و عدل عن النظر بولده و أهله و نسبه لا سيما مع اضطراره كان إلى شهادة خواص الدولة العباسية عليه فى الوصية و ثبوت خطوطهم فيها كالمعروف بتدبير مولى الواثق و عسكر الخادم مولى محمد بن المأمون و الفتح بن عبد ربه و غيرهم

الفصول العشرة ص : ٧٠

من شهود قضاة سلطان الوقت و حكامه لما قصد بذلك من حراسة قومه و حفظ صدقاته و ثبوت وصيته عند قاضى الزمان و إرادته مع ذلك الستر على ولده و إهمال ذكره و الحراسة لمهجته بترك التنبيه على وجوده و الكف لأعدائه بذلك عن الجد و الاجتهاد فى طلبه و التبريد عن شيعته لما يشنع به عليهم من اعتقاد وجوده و إمامته. و من اشتبه عليه الأمر فيما ذكرناه حتى ظن أنه دليل على بطلان مقال الإمامية فى وجود ولد للحسن ع مستور عن جمهور الأنام كان بعيدا من الفهم و الفطنة بأتنا عن الذكاء و المعرفة عاجزا بالجهل عن التصور أحوال العقلاء و تدبيرهم فى المصالح و ما يعتمدونه فى ذلك من صواب رأى و بشاهد الحال و دليله من العرف و العادات

فصل

و قد تظاهر الخبر فيما كان عن تدبير أبى عبد الله جعفر بن محمد ع و حراسته ابنه موسى بن جعفر ع بعد وفاته من ضرر

الفصول العشرة ص : ٧١

يلحقه بوصيته إليه و أشاع الخبر عن الشيعة إذ ذاك باعتقاد إمامته من بعده و الاعتماد فى حجتهم لذلك على إفراده بوصيته مع نصه عليه بنقل خواصه. فعدل عن إقراره

بالوصية عند وفاته و جعلها إلى خمسة نفر أولهم المنصور و قدمه على جماعتهم إذ هو سلطان الوقت و مدبر أهله ثم صاحبه الربيع من بعده ثم قاضى وقته ثم جاريته و أم ولده حميدة البربرية و ختمهم بذكر ابنه موسى بن جعفر ع يستر أمره و يحرس بذلك نفسه.

الفصول العشرة ص : ٧٢

و لم يذكر مع ولده موسى أحدا من أولاده لعلمه بأن منهم من يدعى مقامه من بعده و يتعلق بإدخاله فى وصيته. و لو لم يكن موسى ع ظاهرا مشهورا فى أولاده معروف المكان منه و صحة نسبه و اشتهاى فضله و علمه و حكمته و امتثاله و كماله بل كان مثل ستر الحسن ع ولده لما ذكره فى وصيته و لاقتصر على ذكر غيره ممن سميناه لكنه ختمهم فى الذكر به كما بيناه. و هذا شاهد لما وصفناه من غرض أبى محمد ع فى وصيته إلى والدته دون غيرها و إهمال ذكر ولد له و نظر له فى معناه على ما بيناه

الفصول العشرة ص : ٧٣

الكلام فى الفصل الرابع

فأما الكلام فى الفصل الرابع و هو الاستبعاد الداع كذا للحسن ع إلى ستر ولده و تدبير الأمر فى إخفاء شخصه و النهى لشييعته عن البيونة بتسميته و ذكره مع كثرة الشيعة فى زمانه و انتشارهم فى البلاد و ثروتهم بالأموال و حسن الأحوال و صعوبة الزمان فيما سلف على آباءه ع و اعتقاد ملوكه فيهم و شدة غلظهم على الدائنين بإمامتهم و استحلالهم الدماء و الأموال و لم يدعهم ذلك إلى ستر ولدهم و لا مؤهل الأمر من بعدهم و قول الخصوم أن هذا متناقض فى أحوال العقلاء فليس الأمر كما ظنوه و لا كان على ما استبعدوه. و الذى دعا الحسن إلى ستر ولده و كتمان ولادته و إخفاء شخصه و الاجتهاد فى إهمال ذكره بما خرج إلى شييعته من النهى عن الإشارة إليه و حظر تسميته و نشر الخبر بالنص عليه

الفصول العشرة ص : ٧٤

شئ ظاهر لم يكن فى أوقات آباءه ع فيدعونه من ستر أولادهم إلى ما دعاه إليه و هو أن ملوك الزمان إذ ذاك كانوا يعرفون من رأى الأئمة ع التقية و تحريم الخروج بالسيف على الولاية و عيب من فعل ذلك من بنى عمهم و لومهم عليه و أنه لا يجوز عندهم تجريد السيف حتى تركد الشمس عند زوالها و يسمع نداء من السماء باسم رجل بعينه و يخسف بالبيداء و يقوم آخر أئمة الحق بالسيف ليزيل دولة الباطل. و كانوا لا يكبرون بوجود من يوجد منهم و لا بظهور شخصه و لا بدعوة من يدعو إلى إمام لأمانهم مع ذلك من فتق يكون عليهم به و لا اعتقادهم قلة عدد من يصغى إليهم فى دعوى الإمامة لهم أو يصدقهم فيما يخبرون به من منتظر يكون لهم. فلما جاز وقت وجود المترقب لذلك المخوف منه القيام بالسيف و وجدنا الشيعة الإمامية مطبقة على تحقيق أمره و تعيينه و الإشارة إليه دون غيره بعثهم ذلك على طلبه و سفك دمه و لتزول الشبهة فى التعلق به و يحصل الأمان فى الفتنة بالإشارة إليه و الدعوة إلى نصرته.

الفصول العشرة ص : ٧٥

و لو لم يكن ما ذكرناه شيئاً ظاهراً و علة صحيحة و جهة ثابتة لكان غير منكر أن يكون فى معلوم الله جل اسمه أن من سلف من آباءه ع يأمن مع ظهوره و أنه هو لو ظهر لم يأمن على دمه و أنه متى قتل أحد من آباءه ع عند ظهوره لم تمنع الحكمة من إقامة خليفة يقوم مقامه. و أن ابن الحسن ع لو يظهر لسفك القوم دمه و لم تقتض الحكمة التخلية بينهم و بينه و لو كان فى المعلوم للحق صلاح بإقامة إمام من بعده لكفى فى الحجة و أقنع فى إيضاح المحجة فكيف و قد بينا عن سبب ذلك بما لا يحيل على ناظر و المنة لله

الفصول العشرة ص : ٧٧

الفصل الخامس

و أما الكلام فى الفصل الخامس و هو قول الخصوم أن دعوى الإمامية لصاحبهم أنه منذ ولد إلى وقتنا هذا مع طول المدة و تجاوزها الحد مستتر لا يعرف أحد مكانه و لا

يعلم مستقره و لا يدعى عدل من الناس لقاءه و لا يأتى بخبر عنه و لا يعرف له أثرا.
خارجة عن العرف إذ لم تجر العادة لأحد من الناس بذلك إذ كان كل من اتفق له الاستتار
عن ظالم لخوف منه على نفسه و لغير ذلك من الأغراض تكون مدة استتاره مرتبة و لا
تبلغ عشرين سنة فضلا عما زاد عليها و لا يخفى أيضا على الكل فى مدة استتاره مكانه
بل لا بد من أن يعرف ذلك بعض أهله و أوليائه بلقائه و بخبر منه يأتى إليهم عنه. و إذا
خرج قول الإمامية فى استتار صاحبهم و غيبته عن حكم العادات بطل و لم يرج قيام
حجة

الفصول العشرة ص : ٧٨

فصل و ليس الأمر كما توهمه الخصوم فى هذا الباب و الإمامية بأجمعها تدفعهم عن
دعواهم و تقول أن جماعة من أصحاب أبى محمد الحسن بن على بن محمد ع قد شاهدوا
خلفه فى حياته و كانوا أصحابه و خاصته بعد وفاته و الوسائط بينه و بين شيعته دهرا
طويلا فى استتاره ينقلون إليهم عن معالم الدين و يخرجون إليهم أجوبة عن مسائلهم
فيه و يقبضون منهم حقوقه لديهم. و هم جماعة كان الحسن بن على ع عد لهم فى
حياته و اختصهم أمناء له فى وقته و جعل إليهم النظر فى أملاكه و القيام بمآربه
معروفون بأسمائهم و أنسابهم و أمثالهم. كأبى عمرو عثمان بن سعيد السمان و ابنه
أبى جعفر محمد بن

الفصول العشرة ص : ٧٩

عثمان و بنى الرحبا من نصيبين و بنى سعيد و بنى مهزيار بالأهواز و بنى الركولى
بالكوفة و بنى نوبخت ببغداد

الفصول العشرة ص : ٨٠

و جماعة من أهل قزوین و قم و غيرها من الجبال مشهورون بذلك عند الإمامية و
الزيدية معروفون بالإشارة إليه به عند كثير من العامة.

الفصول العشرة ص : ٨١

و كانوا أهل عقل و أمانة و ثقة و دراية و فهم و تحصيل و نباهة و كان السلطان يعظم
أقدارهم بجلالة محلهم فى الدنيا و يكرمهم لظاهر أمانتهم

الفصول العشرة ص : ٨٢

و اشتهار عدالتهم حتى أنه كان يدفع عنهم ما يضيفه إليهم خصومهم من أمرهم ضنا بهم
و اعتقادا لبطلان قذفهم به و ذلك لما كان من شدة تحرزهم و ستر حالهم و اعتقادهم و
جودة آرائهم و صواب تدبيرهم. و هذا يسقط دعوى الخصوم وفاق الإمامية لهم أن
صاحبهم لم ير منذ ادعوا ولادته و لا عرف له مكان و لا خبر أحد بلقائه. فأما بعد انقراض
من سميناه من أصحاب أبيه و أصحابه ع فقد كانت الأخبار عمن تقدم من أئمة آل محمد
ع متناصرة بأنه لا بد للقائم المنتظر من غيبتين إحداهما أطول من الأخرى يعرف خبره
الخاص فى القصرى و لا يعرف العام له مستقرا فى الطولى إلا من تولى خدمته من ثقات
أوليائه و لم ينقطع عنه إلى الاشتغال بغيره. و الأخبار بذلك موجودة فى مصنفات
الشيعة الإمامية قبل مولد أبى محمد و أبيه و جده ع و ظهر حقها عند مضى الوكلاء و
السفراء الذين سميناهم رحمهم الله و بان صدق روايتها بالغيبة الطولى فكان ذلك من
الآيات الباهرات فى صحة ما ذهب إليه الإمامية و دانت به فى

الفصول العشرة ص : ٨٣

معناه. و ليس يمكن أن يخرج عن عادة أزماننا هذه غيبة بشر لله تعالى فى استتاره تدبير
لمصالح خلقه لا يعلمها إلا هو و امتحان لهم بذلك فى عبادته مع أنا لم نخط علما بأن
كل غائب عن الخلق مستترا بأمر دينه لأمر يؤمه عنهم كما ادعاه الخصوم يعرف جماعة
من الناس مكانه و يخبرون عن مستقره. و كم ولى الله تعالى يقطع الأرض بعبادة ربه
تعالى و التفرد من الظالمين بعمله و نأى بذلك عن دار المجرمين و تبعد بدينه عن محل
الفاسقين لا يعرف أحد من الخلق له مكانا و لا يدعى إنسان له لقاء و لا معه اجتماعا. و
هو الخضر ع موجود قبل زمان موسى ع إلى وقتنا هذا بإجماع أهل النقل و اتفاق
أصحاب السير و الأخبار سائحا فى الأرض لا يعرف له أحد مستقرا و لا يدعى له

اصطحابا إلا ما جاء فى القرآن به من قصته مع موسى ع و ما يذكره بعض الناس من أنه يظهر أحيانا و لا يعرف و يظن بعض من رآه أنه بعض الزهاد فإذا فارق مكانه توهمه المسمى بالخضر و إن لم يكن يعرف بعينه فى الحال و لا

الفصول العشرة ص : ٨٤

ظنه بل اعتقد أنه بعض أهل الزمان. و قد كان من غيبة موسى بن عمران ع عن وطنه و فراره من فرعون و رهطه ما نطق به الكتاب و لم يظهر عليه أحد مدة غيبته عنهم فيعرف له مكانا حتى ناجاه الله عز و جل و بعثه نبيا فدعا إليه و عرفه الولي و العدو إذ ذاك. و كان من قصة يوسف بن يعقوب ع ما جاءت به سورة كاملة بمعناه و تضمنت ذكر استتار خبره عن أبيه و هو نبي الله تعالى يأتيه الوحى منه سبحانه صباحا و مساء و أمره مطوى عنه و عن إخوته و هم يعاملونه و يبائعونه و يبتاعون منه و يلقونه و يشاهدونه فيعرفهم و لا يعرفونه حتى مضت على ذلك السنون و انقضت فيه الأزمان و بلغ من حزن أبيه ع عليه لفقده و يأسه من لقائه و ظنه خروجه من الدنيا بوفاته ما انحنى له ظهره و أنهك به جسمه و ذهب لبكائه عليه بصره. و ليس فى زماننا الآن مثل ذلك و لا سمعنا بنظير له فى سواه.

الفصول العشرة ص : ٨٥

و كان من أمر يونس نبي الله ع مع قومه و فراره عنهم عند تطاول المدة فى خلافهم عليه و استخفافهم بحقوقه و غيبته عنهم لذلك عن كل أحد من الناس حتى لم يعلم بشر من الخلق مستقره و مكانه إلا الله تعالى إذ كان المتولى لحبسه فى جوف حوت فى قرار بحر و قد أمسك عليه رmqه حتى بقى حيا ثم أخرجـه من ذلك إلى تحت شجرة من يقطين بحيث لم يكن له معرفة بذلك المكان من الأرض و لم يخطر له ببال سـكناه. و هذا أيضا خارج عن عادتنا و بعيد من تعارفنا و قد نطق به القرآن و أجمع عليه أهل الإسلام و غيرهم من أهل الملل و الأديان. و أمر أصحاب الكهف نظير لما ذكرناه و قد نزل القرآن بخبرهم و شرح أمرهم فى فرارهم بدينهم من قومهم و حصولهم فى كهف

ناء عن بلدهم فأما تهم الله فيه و بقى كلبهم باسطا ذراعيه بالوصيد و دبر أمرهم فى بقاء أجسامهم على حال أجساد الحيوان لا يلحقها بالموت تغير فكان يقلبهم ذات اليمين و ذات الشمال كالحى الذى يتقلب فى منامه بالطبع و الاختيار و يقيهم حر الشمس التى تغير الألوان و الرياح التى تمزق الأجساد فبقوا على ذلك ثلاث مائة سنة و تسع سنين على ما جاء به الذكر الحكيم.

الفصول العشرة ص : ٨٦

ثم أحياهم فعادوا إلى معاملة قومهم و مبايعتهم و أنفذوا إليهم بورقهم لبيتاعوا منهم أحل الطعام و أطيبه و أزكاه بحسب ما تضمن القرآن من شرح قصتهم مع استتار أمرهم عن قومهم و طول غيبتهم عنهم و خفاء أمرهم عليهم. و ليس فى عادتنا مثل ذلك و لا عرفناه و لو لا أن القرآن جاء بذكر هؤلاء القوم و خبرهم و ما ذكرناه من حالهم لتسمرت الناصبة إلى إنكار ذلك كما يتسرع إلى إنكاره الملحدون و الزنادقة و الدهريون و يحيلون صحة الخبر به و قد تقول لن يكون فى المقدور. و قد كان من أمر صاحب الحمار الذى نزل بذكر قصته القرآن و أهل الكتاب يزعمون أنه نبي الله تعالى و قد كان مرَّ على قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا فاستبعد عمارتها و عودها إلى ما كانت عليه و رجوع الموتى منها بعد هلاكهم بالوفاة ف قال أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ وَ بَقِيَ طَعَامُهُ وَ شَرَابُهُ بِحَالِهِ لَمْ يَغْيِرْهُ تَغْيِيرُ طَبَائِعِ الزَّمَانِ كُلِّ طَعَامٍ وَ شَرَابٍ عَنْ حَالِهِ فَجَرَتْ بِذَلِكَ الْعَادَةُ فِي طَعَامِ صَاحِبِ الْحِمَارِ وَ شَرَابِهِ وَ بَقِيَ حِمَارُهُ قَائِمًا فِي مَكَانِهِ لَمْ يَنْفَقْ وَ لَمْ يَتَغْيِرْ عَنْ

الفصول العشرة ص : ٨٧

حاله حى يأكل و يشرب لم يضره طول عمره و لا أضعف و لا غير له صفة من صفاته. فلما أحياه الله تعالى المذكور بالعجب من حياة الأموات و قد أماته مائة عام قال له فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَ شَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ يَرِيدُ بِهِ لَمْ يَتَغْيِرْ بِطُولِ مَدَّةِ بَقَائِهِ وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا يَعْنِي عِظَامَ الْأَمْوَاتِ مِنَ النَّاسِ كَيْفَ نَخْرِجُهَا مِنْ تَحْتِ التُّرَابِ

ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فتعود حيوانا كما كانت بعد تفرق أجزائها و اندراسها بالموت فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُ ذلك و شاهد الأعجوبة فيه قالَ أَغْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. و هذا
منصوص فى القرآن مشروح فى الذكر و البيان لا يختلف فيه المسلمون و أهل الكتاب
و هو خارج عن عادتنا و بعيد من تعارفنا منكر عند الملحدين و مستحيل على مذهب
الدهريين و المنجمين و أصحاب الطبائع من اليونانيين و غيرهم من المدعين
الفلسفة و المتطبيين. على أن ما يذهب إليه الإمامية فى تمام استتار صاحبها و غيبته و
مقامه على ذلك طول مدته أقرب فى العقول و العادات مما أوردناه من أخبار المذكورين
فى القرآن.

الفصول العشرة ص : ٨٨

فأى طريق للمقر بالإسلام إلى إنكار مذهبنا فى ذلك لو لا أنهم بعداء من التوفيق
مستمالون بالخدلان. و أمثال ما ذكرناه و إن لم يكن قد جاء به القرآن كثير قد رواه
أصحاب الأخبار و سطره فى الصحف أصحاب السير و الآثار. من غيبات ملوك الفرس
عن رعاياهم دهرًا طويلًا لضروب من التدبيرات لم يعرف أحد لهم فيها مستقرا و لا عثر
لهم على موضع و لا مكان ثم ظهروا بعد ذلك و عادوا إلى ملكهم بأحسن حال و كذلك
جماعة من حكماء الروم و الهند و ملوكهم. و كم كانت لهم غيبات و أخبار بأحوال
تخرج عن العادات. لم نتعرض لذكر شيء من ذلك لعلنا بتسرع الخصوم إلى إنكاره
لجهلهم و دفعهم صحة الأخبار به و تعويلهم فى إبطاله على بعده من عاداتهم و عرفهم.
فاعتمدنا القرآن فيما يحتاج إليه منه و إجماع أهل الإسلام لإقرار الخصم بصحة ذلك
و أنه من عند الله تعالى و اعترافهم بحجة الإجماع. و إن كنا نعرف من كثير منهم
نفاقهم بذلك و نتحقق استبطانهم بخلافه لعلنا بإلحادهم فى الدين و استهزائهم به و
أنهم كانوا ينحلون

الفصول العشرة ص : ٨٩

بظاهرة خوفها من السيف و تصنعها أيضا لاكتساب الحطام به من الدنيا و لو لا ذلك

لصرحوا بما ينتمون و ظاهرُوا بمذاهب الزنادقة التى بها يدينون و لها يعتقدون. و

نعوذ بالله من سبىء الاتفاق و نسأله العصمة من الضلال

الفصول العشرة ص : ٩١

الكلام فى الفصل السادس

تعلق الخصوم بانتقاض العادة فى دعوى طول عمره و بقاءه على تكامل أدواته منذ ولد على قول الإمامية فى سنى عشر الستين و المائتين و إلى يومنا هذا و هو سنة أحد عشر و أربعمائة و فى حملهم فى بقاءه و حاله و صفته التى يدعونها له بخلاف حكم العادات و أنه يدل على فساد معتقدهم فيه

فصل

و الذى تخيله الخصوم هو فساد قول الإمامية بدعواهم

الفصول العشرة ص : ٩٢

لصاحبهم طول العمر و تكامل أدواته فيه و بقاءه إلى يومنا هذا و إلى وقت ظهوره بالأمة على حال الشبيبة و وفارة العقل و القوة و المعارف بأحوال الدين و الدنيا. و إن خرج عما نعهده نحن الآن من أحوال البشر فليس بخارج عن عادات سلفت لشركائه فى البشرية و أمثالهم فى الإنسانية. و ما جرت به عادة فى بعض الأزمان لم يمتنع وجوده فى غيرها و كان حكم مستقبلها كحكم ماضيها على البيان. و لو لم تجر عادة بذلك جملة لكانت الأدلة على أن الله تعالى قادر على فعل ذلك تبطل توهم المخالفين للحق فساد القول به و تكذبهم فى دعواهم. و قد أطبق العلماء من أهل الملل و غيرهم أن آدم أبا البشر عمر نحو الألف لم يتغير له خلق و لا انتقل من طفولية إلى شبيبة و لا عنها إلى هرم و لا عن قوة إلى عجز و لا عن علم إلى جهل و أنه لم يزل على صورة واحدة إلى أن قبضه الله عز و جل إليه.

الفصول العشرة ص : ٩٣

هذا مع الأعجوبة فى حدوثه من غير نكاح و اختراعه من التراب من غير بدو و انتقاله

من طين لازب إلى طبيعة الإنسانية و لا واسطة فى صنعته على اتفاق من ذكرناه من أهل الكتب حسب ما بيناه. و القرآن مع ذلك ناطق ببقاء نوح نبي الله ع فى قومه تسعمائة سنة و خمسين سنة للإنداز لهم خاصة و قبل ذلك ما كان له من العمر الطويل إلى أن بعث نبيا من غير ضعف كان به و لا هرم و لا عجز و لا جهل مع امتداد بقائه و تطاول عمره فى الدنيا و سلامة حواسه. و أن الشيب أيضا لم يحدث فى البشر قبل حدوثه فى إبراهيم الخليل ع بإجماع من سميناه من أهل العلم من المسلمين خاصة كما ذكرناه. و هذا ما لا يدفعه إلا الملحدة من المنجمين و شركائهم فى الزندقة من الدهريين فأما أهل الملل كلها فعلى اتفاق منهم على ما وصفناه. و الأخبار متناصرة بامتداد أيام المعمرين من العرب و العجم و الهند و أصناف البشر و أحوالهم التى كانوا عليها مع ذلك و المحفوظ من حكمهم مع تطاول أعمارهم و المأثور من تفصيل قصاتهم من أهل أعصارهم و خطبهم و أشعارهم لا يختلف أهل النقل فى صحة الأخبار عنهم بما ذكرناه

الفصول العشرة ص : ٩٤

و صدق الروايات فى أعمارهم و أحوالهم كما وصفناه. و قد أثبت أسماء جماعة منهم فى كتابى المعروف بالإيضاح فى الإمامة و أخبار كافتهم مجموعة مؤلفة حاصلة فى خزائن الملوك و كثير من الرؤساء و كثير من أهل العلم و حوانيت الوراقين فمن أحب الوقوف على ذلك فليلتمس من الجهات المذكورة يجدها على ما يثلج صدره و يقطع بتأمل أسانيدھا فى الصحة له عذره إن شاء الله تعالى. و أنا أثبت من ذكر بعضهم هاهنا جملة تقنع و إن كان الوقوف على أخبار كافتهم أنجع فيما نؤمه بذكر البعض إن شاء الله. فمنهم لقمان بن عاد الكبير و كان أطول الناس عمرا بعد الخضر ع و ذلك أنه عاش على رواية العلماء بالأخبار ثلاثة آلاف سنة و خمسمائة سنة و قيل إنه

الفصول العشرة ص : ٩٥

عاش عمر سبعة أنسر و كان يأخذ فرخ النسر فيجعله فى الجبل فيعيش النسر منها ما عاش فإذا مات أخذ آخر فرباه حتى كان آخرها لبد و كان أطولها عمرا فليل طال الأمد

على لبد. و فيه يقول الأعشى

لنفسك إذ تختار سبعة أنسر إذا ما مضى نسر خلدت إلى نسر
فعمر حتى خال أن نسوره خلود و هل تبقى النفوس على الدهر
و قال لأدناهن إذ حل ريشه هلك و أهلك ابن عاد و ما تدري
و منهم ربيع بن ضبيع بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة
الفصول العشرة ص : ٩٦

عاش ثلاثمائة سنة و أربعين سنة و أدرك النبي ص و لم يسلم. و هو الذى يقول و قد
طعن فى ثلاثمائة سنة.

أصبح منى الشباب قد حسرا إن ينأ عنى فقد ثرى عصرا
و الأبيات معروفة و هو الذى يقول أيضا منه
إذا كان الشتاء فادفئوني فإن الشيخ يهدمه الشتاء
و أما حين يذهب كل قر فسر بال خفيف أو رداء
إذا عاش الفتى مائتين عاما فقد أودى المسرة و الفتاء
و منهم المستوغر بن ربيعة بن كعب.

الفصول العشرة ص : ٩٧

عاش ثلاثمائة و ثلاثة و ثلاثين سنة و هو الذى يقول
و لقد سئمت من الحياة و طولها و عمرت من عدد السنين مئينا
مائة حدثها بعدها مائتان لى و عمرت من عدد الشهور سنينا
و منهم أكثم بن صيفى الأسدى عاش ثلاثمائة سنة و ثمانين سنة و كان ممن أدرك النبي
ص و آمن به و مات قبل أن يلقاه و له أحاديث كثيرة و حكم و بلاغات و أمثال و هو
القائل

و إن امرأ قد عاش تسعين حجة إلى مائة لم يسأم العيش جاهل
خلت مائتان بعد عشر وفائها و ذلك من عدى ليال قلائل

الفصول العشرة ص : ٩٨

و كان والده صيفى بن رياح بن أكتم أيضا من المعمرين. عاش مائتين و ستة و سبعين سنة و لا ينكر من عقله شيء و هو المعروف بذي الحلم الذى قال فيه المتلمس اليشكرى

لذى الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا و ما علم الإنسان إلا ليعلما و منهم ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو عاش مائتى سنة و عشرين سنة فلم يشب قط و أدرك الإسلام و لم يسلم.

الفصول العشرة ص : ٩٩

و روى أبو حاتم [و] الرياشى عن العتبى عن أبيه أنه قال مات ضبيرة السهمى و له مائتا سنة و عشرون سنة و كان أسود الشعر صحيح الأسنان. و رثاه ابن عمه قيس بن عدى فقال

من يأمن الحدثان بعد ضبيرة السهمى ماتا
سبقت منيته المشيب و كان ميته افتلاتا
فتزودوا لا تهلكوا من دون أهلكم خفاتا

الفصول العشرة ص : ١٠٠

و منهم دريد بن الصمة الجسمى عاش مائتى سنة و أدرك الإسلام فلم يسلم و كان أحد قواد المشركين يوم حنين و مقدمهم حضر حرب النبى ص فقتل يومئذ و منهم محصن بن عتبان بن ظالم الزبيدى. عاش مائتى سنة و خمسة و خمسين سنة. و منهم عمرو بن

حممة الدوسى. عاش أربعمائة سنة. و هو الذى يقول

كبرت و طال العمر حتى كأنى سليم أفاع ليله غير مودع
فما الموت أفنانى و لكن تتابعت على سنون من مصيف و مربع
ثلاث مئات قد مررن كواملا و ها أنا هذا أرتجى نيل أربع

الفصول العشرة ص : ١٠١

و منهم الحرث بن مضاض الجرهمى عاش أربعمئة سنة. و هو القائل

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس و لم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالى و الجدود العواثر

و فى غير من ذكرت يطول بإثباته جزء الكتاب و الفرس تزعم أن قدماء ملوكها جماعات

طالت أعمارهم و امتدت و زادت فى الطول على أعمار من أثبتنا اسمه من العرب و

يذكرون أن من جملتهم الملك الذى استحدث المهرجان عاش ألفى سنة و خمسمئة

الفصول العشرة ص : ١٠٢

لم نتعرض لشرح أخبارهم لظهور ما قصصته من أمر العرب من أعمارهم على ما تدعيه

الفرس و لقرب عهدها منا و بعد عهد أولئك و ثبوت أخبار معمرى العرب فى صحف أهل

الإسلام و عند علمائهم. و قد أسلفت القول بأن المنكر لتطاول الأعمار إنما هم طائفة

من المنجمين و جماعة من الملحدين فأما أهل الكتب و الملل فلا يختلفون فى صحة

ذلك و ثبوته. فلو لم يكن من جملة المعمرين إلا من التنازع فى طول عمره مرتفع و هو

سلمان الفارسى رحمة الله عليه و أكثر أهل العلم يقولون بأنه رأى المسيح و أدرك

النبي ص و عاش بعده و كانت وفاته فى وسط أيام عمر بن الخطاب و هو يومئذ القاضى

بين المسلمين فى

الفصول العشرة ص : ١٠٣

المدائن و يقال إنه كان عاملها و جابى خراجها و هذا أصح و فيما أسلفناه فى هذا الباب

كفاية فيما قصدناه و الحمد لله

الفصول العشرة ص : ١٠٥

الكلام فى الفصل السابع

فأما قول الخصوم إنه إذا استمرت غيبة الإمام على الوجه الذى تعتقده الإمامية فلم

يظهر له شخص و لا تولى إقامة حد و لا إنفاذ حكم و لا دعوة إلى حق و لا جهاد العدو

بطلت الحاجة إليه فى حفظ الشرع و الملة و كان وجوده فى العالم كعدمه

فصل

فإننا نقول فيه إن الأمر بخلاف ما ظنوه و ذلك أن غيبته لا تخل بما صدقت الحاجة إليه من حفظ الشرع و الملة و استياداعها له و تكليفها التعرف فى كل وقت لأحوال الأمة و تمسكها بالديانة أو فراقها لذلك إن فارقتة و هو الشىء الذى ينفرد به دون غيره من كافة رعيته.

الفصول العشرة ص : ١٠٦

أ لا ترى أن الدعوة إليه إنما يتولاها شيعته و تقوم الحجة لهم فى ذلك و لا يحتاج هو إلى تولى ذلك بنفسه كما كانت دعوة الأنبياء ع تظهر نائباً عنهم و المقرين بحقهم و ينقطع العذر بها فيما يتأتى عن علتهم كذا و مستقرهم و لا يحتاجون إلى قطع المسافات لذلك بأنفسهم و قد أقامت أيضاً نائباً عنهم بعد وفاتهم و تثبت الحجة لهم فى ثبوتهم بامتحانهم فى حياتهم و بعد موتهم و كذلك إقامة الحدود و تنفيذ الأحكام و قد يتولاها أمراء الأئمة و عمالهم دونهم كما كان يتولى ذلك أمراء الأنبياء ع و ولاتهم و لا يخرجونهم إلى تولى ذلك بأنفسهم و كذلك القول فى الجهاد أ لا ترى أنه يقوم به الولاية من قبل الأنبياء و الأئمة دونهم و يستغنون بذلك عن توليه بأنفسهم. فعلم بما ذكرناه أن الذى أحوج إلى وجود الإمام و منع من عدمه

الفصول العشرة ص : ١٠٧

ما اختص به من حفظ الشرع الذى لا يجوز ائتمان غيره عليه و مراعاة خلق فى أداء ما كلفوه من أدائه [آدابه]. فمن وجد منهم قائماً بذلك فهو فى سعة من الاستتار و الصموت و متى وجدهم قد أطبقوا على تركه و ضلوا عن طريق الحق فيما كلفوه من نقله ظهر لتولى ذلك بنفسه و لم يسعه إهمال القيام به فلذلك ما وجب فى حجة العقل وجوده و فسد منها عدمه المبين لوجوده أو موته المانع له من مراعاة الدين و حفظه و هذا بين لمن تدبره. و شىء آخر و هو أنه إذا غاب الإمام للخوف على نفسه من القوم الظالمين فضاعت لذلك الحدود و انهملت به الأحكام و وقع به فى الأرض الفساد فكان السبب

لذلك فعل الظالمين دون الله عز اسمه و كانوا المأخوذين بذلك المطالبين به دونه.
فلو أماته الله تعالى و أعدم ذاته فوقع لذلك الفساد و ارتفع بذلك الصلاح كان سببه
فعل الله دون العباد و لن يجوز من الله تعالى سبب الفساد و لا رفع ما يرفع الصلاح.
فوضح بذلك الفرق بين موت الإمام و غيبته و استتاره و ثوبته و سقط ما اعترض
المستضعفون فيه من الشبهات و المنة لله

الفصول العشرة ص : ١٠٩

الكلام فى الفصل الثامن

فأما قول المخالفين إنا قد ساوينا بمذهبنا فى غيبة صاحبنا ع السبائية فى قولها أن
أمير المؤمنين ع لم يقتل و أنه حى موجود و قول الكيسانية فى محمد بن الحنفية و
مذهب الناوسية فى أن الصادق جعفر بن محمد ع لم يمت و قول الممطورة فى موسى
بن جعفر ع أنه لم يمت و أنه حى إلى أن يخرج بالسيف و قول أوائل الإسماعيلية و
أسلافها أن إسماعيل بن جعفر هو المنتظر و أنه حى لم

الفصول العشرة ص : ١١٠

يمت و قول بعضهم مثل ذلك فى محمد بن إسماعيل و قول الزيدية مثل ذلك فىمن قتل
من أئمتها حتى قالوه فى يحيى بن عمر المقتول بشاهى. و إذا كانت هذه الأقاويل باطلة
عند الإمامية. و قولها فى غيبة

الفصول العشرة ص : ١١١

صاحبها نظيرها فقد بطلت أيضا و وضح فسادها

فصل

فإننا نقول إن هذا توهم من الخصوم لو تيقظوا لفساد ما اعتمدوه فى حجاج أهل الحق
و ظنوه نظيرا لمقالهم و ذلك أن قتل من سموه قد كان محسوسا مدركا بالعيان و شهد
به أئمة قاموا بعدهم ثبتت إمامتهم بالشىء الذى به ثبتت إمامة من تقدمهم و الإنكار
للمحسوسات باطل عند كافة العقلاء و شهادة الأئمة المعصومين بصحة موت الماضين

منهم مزيلة لكل ريبة فبطلت الشبهة فيه على ما بيناه. و ليس كذلك قول الإمامية فى دعوى وجود صاحبهم ع لأن دعوى وجود صاحبهم ع لا تتضمن دفع المشاهد و لا له إنكار المحسوس و لا قام بعد الثانى عشر من أئمة الهدى ع إمام عدل معصوم يشهد بفساد دعوى الإمامية أو وجود إمامها و غيبته. فأى نسبة بين الأمرين لو لا التحريف فى الكلام و العمل على أول خاطر يخطر للإنسان من غير فكر فيه و لا إثبات

الفصول العشرة ص : ١١٢

فصل

و نحن فلم ننكر غيبة من سماه الخصوم لتطاول زمانها فيكون ذلك حجة علينا فى تطاول مدة غيبة صاحبنا و إنما أنكرناها بما ذكرناه من المعرفة و اليقين بقتل من قتل منهم و موت من مات من جملتهم و حصول العلم بذلك من جهة الإدراك بالحواس. و لأن فى جملة من ذكروه من لم يثبت له إمامة من الجهات التى تثبت لمستحقها على حال فلا يضر لذلك دعوى من ادعى له الغيبة و الاستتار. و من تأمل ما ذكرناه عرف الحق منه و وضح له الفرق بيننا و بين الضالة من المنتسبين إلى الإمامية و الزيدية و لم يخف الفصل بين مذهبنا فى صاحبنا ع و مذاهبهم الفاسدة بما قدمناه و المنة لله

الفصول العشرة ص : ١١٣

و أما الكلام فى الفصل التاسع

و هو قول الخصوم إن الإمامية تناقض مذهبها فى إيجابهم الإمامة و قولهم بشمول المصلحة للأنام بوجود الإمام و ظهوره و أمره و نهيه و تدبيره و استشهادهم على ذلك بحكم العادات فى عموم المصالح بنظر السلطان العادل و تمكنه من البلاد و العباد. و قولهم مع ذلك أن الله تعالى قد أباح للإمام الغيبة عن الخلق و سوغ له الاستتار عنهم و أن ذلك هو المصلحة و صواب التدبير للعباد. و هذه مناقضة لا تخفى على العقلاء

الفصول العشرة ص : ١١٤

فصل

و أقول إن هذه الشبهة الداخلة على المخالف إنما استولت عليه لبعده عن سبيل الاعتبار و وجوه الصلاح و أسباب الفساد و ذلك أن المصالح تختلف باختلاف الأحوال و لا تتفق مع تضادها بل يتغير تدبير الحكماء فى حسن النظر و الاستصلاح بتغير آراء المستصلحين و أفعالهم و أغراضهم فى الأعمال. ألا ترى أن الحكيم من البشر يدبر ولده و أحبته و أهله و عبيده و حشمه بما يكسبهم المعرفة و الآداب و يبعثهم على الأعمال الحسنة ليستثمروا بذلك المدح و حسن الثناء و الإعظام من كل أحد و الإكرام و يمكنوهم من المتاجر و المكاسب للأموال لتتصل مسارهم بذلك و ينالوا بما يحصل لهم من الأرباح الملهذات و ذلك هو الأصلح لهم مع توقرهم على ما دبرهم به من أسباب ما ذكرناه. فمتى أقبلوا على العمل بذلك و الجد فيه أداموا لهم ما يتمكنون به

الفصول العشرة ص : ١١٥

منه و سهلوا عليهم سبيله و كان ذلك هو الصلاح العام و ما أخذوا بتدبيرهم إليه و أحبوه منهم و أبروه لهم. و إن عدلوا عن ذلك إلى السفه و الظلم و سوء الأدب و البطالة و اللهو و اللعب و وضع المعونة على الخيرات فى الفساد كانت المصلحة لهم قطع مواد السعة عنهم فى الأموال و الاستخفاف بهم و الإهانة و العقاب. و ليس فى ذلك تناقض بين أغراض العاقل و لا تضاد فى صواب التدبير و الاستصلاح. و على الوجه الذى بيناه كان تدبير الله تعالى لخلقهم و إرادته عمومهم بالصلاح. ألا ترى أنه خلقهم فأكمل عقولهم و كلفهم الأعمال الصالحات ليكسبهم بذلك حالا فى العاجلة و مدحا و ثناء حسنا و إكراما و إعظاما و ثوابا فى الأجل و يدوم نعيمهم فى دار المقام. فإن تمسكوا بأوامر الله و نواهيه و جب فى الحكم إمدادهم بما يزدادون به منه و سهل عليهم سبيله و يسره لهم. و إن خالفوا ذلك و عصوه تعالى و ارتكبوا نواهيه تغيرت الحال فيما يكون فيه استصلاحهم و صواب التدبير لهم يوجب قطع مواد

الفصول العشرة ص : ١١٦

التوفيق عنهم و حسن منه ذمهم و حربهم و وجب عليهم به العقاب و كان ذلك هو

الأصلح لهم و الأصوب فى تدبيرهم مما كان يجب فى الحكمة لو أحسنوا و لزموا السداد. فليس ذلك بمتناقض فى العقل و لا متضاد فى قول أهل العدل بل هو ملتئم على المناسب و الاتفاق

فصل

أ لا ترى أن الله تعالى دعا الخلق إلى الإقرار به و إظهار التوحيد و الإيمان برسله ع لمصلحتهم و أنه لا شىء أصوب فى تدبيرهم من ذلك فمتى اضطروا إلى إظهار كلمة الكفر للخوف على دمائهم كان الأصلح لهم و الأصوب فى تدبيرهم ترك الإقرار بالله و العدول عن إظهار التوحيد و المظاهرة بالكفر بالرسل و إنما تغيرت المصلحة بتغير الأحوال و كان فى تغيير التدبير الذى دبرهم الله به فيما خلقهم له مصلحة للمتقين و إن كان ما اقتضاه من فعل الظالمين قبيحا منهم و مفسدة يستحقون به العقاب الأليم. و قد فرض الله تعالى الحج و الجهاد و جعلهما صلاحا للعباد فإذا تمكنوا منه عمت به المصلحة و إذا منعوا منه بإفساد المجرمين كانت المصلحة لهم تركه و الكف عنه و كانوا فى ذلك معذورين و كان المجرمون به ملومين. فهذا نظير لمصلحة الخلق بظهور الأئمة ع و تدبيرهم إياهم

الفصول العشرة ص : ١١٧

متى أطاعوهم و انطووا على النصرة لهم و المعونة و إن عصوهم و سعوا فى سفك دمائهم تغيرت الحال فيما يكون به تدبير مصالحهم و صارت المصلحة له و لهم غيبته و تغييبه و استتاره و لم يكن عليه فى ذلك لوم و كان الملموم هو المسبب له بإفساده و سوء اعتقاده. و لم يمنع كون الصلاح باستتاره وجوب وجوده و ظهوره مع العلم ببقائه و سلامته و كون ذلك هو الأصلح و الأولى فى التدبير و أنه الأصل الذى أجرى بخلق العباد إليه و كلفوا من أجله حسبما ذكرناه

فصل

فإن الشبهة الداخلة على خصومنا فى هذا الباب و اعتقادها أن مذهب الإمامية فى غيبة

إمامها مع عقدها فى وجوب الإمامة متناقض حسبما ظنوه فى ذلك و تخيلوه لا يدخل إلا على عمى منهم مضعوف بعيد عن معرفة مذهب سلفه و خلفه فى الإمامة لا يشعر بما يرجع إليه فى مقالهم به و ذلك أنهم بين رجلين أحدهما يوجب الإمامة عقلا و سمعا و هم البغداديون من

الفصول العشرة ص : ١١٨

المعتزلة و كثير من المرجئة. و الآخر يعتقد وجوبها سمعا و ينكر أن تكون العقول توجبها و هم البصريون من المعتزلة و جماعة المجبرة و جمهور الزيدية. و كلهم و إن خالف الإمامية فى وجوب النص على الأئمة بأعيانهم و قال بالاختيار أو الخروج بالسيف و الدعوة إلى الجهاد فإنهم يقولون إن وجوب اختيار الأئمة إنما هو لمصالح الخلق و البغداديون من المعتزلة خاصة يزعمون أنه الأصلح فى الدين و الدنيا معا و يعترفون بأن وقوع الاختيار و ثبوت الإمامة هو المصلحة العامة لكنه متى تعذر ذلك بمنع الظالمين منه كان الذين إليهم العقد و النهوض بالدعوة فى سعة من ترك ذلك و فى غير حرج من الكف عنه و أن تركهم له حينئذ يكون هو الأصلح و إباحة الله تعالى لهم التقية فى العدول عنه هو الأولى فى الحكمة و صواب التدبير فى الدنيا و الدين.

الفصول العشرة ص : ١١٩

و هذا هو القول الذى أنكره المستضعفون منهم على الإمامية فى ظهور الإمام و غيبته و القيام بالسيف و كفه عنه و تقيته و إباحة شيعته عند الخوف على أنفسهم ترك الدعوة إليه على الإعلان و الإعراض عن ذلك للضرورة إليه و الإمساك عن الذكر له باللسان. فكيف خفى الأمر فيه على الجاهل من خصومنا حتى ظنوا بنا المناقضة و بمذهبنا فى معناه التضاد و هو قولهم بعينه على السواء لو لا عدم التوفيق لهم و عموم الضلالة

لقلوبهم بالخذلان و الله المستعان

الفصول العشرة ص : ١٢١

الكلام فى الفصل العاشر

فأما قول الخصوم إنه إذا كان الإمام غائباً منذ ولد و إلى أن يظهر داعياً إلى الله تعالى و لم يكن رآه على قول أصحابه أحد إلا من مات قبل ظهوره فليس للخلق طريق إلى معرفته بمشاهدة شخصه و لا التفرقة بينه و بين غيره بدعوته و إذا لم يكن الله تعالى يظهر الأعلام و المعجزات على يده ليدل بها على أنه الإمام المنتظر دون من ادعى مقامه في ذلك النبوة له إذ كانت المعجزات دلائل النبوة و الوحي و الرسالة و هذا نقض مذهبهم و خروج عن قول الأمة كلها أنه لا نبي بعد نبينا ع

فصل

فإننا نقول إن الأخبار قد جاءت عن أئمة الهدى من آباء الإمام المنتظر ع بعلامات تدل عليه قبل ظهوره و تؤذن بقيامه بالسيف قبل سنته.

الفصول العشرة ص : ١٢٢

منها خروج السفيناني و ظهور الدجال و قتل رجل من ولد الحسن بن علي ع يخرج بالمدينة داعياً إلى إمام الزمان و خسف بالبيداء. و قد شاركت العامة الخاصة في الحديث عن النبي ص بأكثر هذه العلامات و أنها كائنة لا محالة على القطع بذلك و الثبات و هذا بعينه معجز يظهر على يده يبرهن به عن صحة نسبه و دعواه

الفصول العشرة ص : ١٢٣

فصل

مع أن ظهور الآيات على الأئمة ع لا توجب لهم الحكم بالنبوة لأنها ليست بأدلة تختص بدعوة الأنبياء من حيث دعوا إلى نبوتهم لكنها أدلة على صدق الداعي إلى ما دعا إلى تصديقه فيه على الجملة دون التفصيل. فإن دعا إلى اعتقاد نبوتهم كانت دليلاً على صدقه في دعوته و إن دعا الإمام إلى اعتقاد إمامته كانت برهاناً له في صدقه في ذلك و إن دعا المؤمن الصالح إلى تصديق دعوته إلى نبوة نبي أو إمامة إمام أو حكم سميحه من نبي أو إمام كان المعجز على صحة دعواه. و ليس يختص ذلك بدعوة النبوة دون ما ذكرناه و إن كان مختصاً بذوى العصمة من الضلال و ارتكاب كبائر الآثام و ذلك مما

يصح اشتراك أصحابه مع الأنبياء ع فى صحيح النظر و الاعتبار. و قد أجرى الله تعالى آية إلى مريم ابنة عمران الآية الباهرة برزقها من السماء و هو خرق للعادة و علم باهر من أعلام النبوة. فقال جل من قائل كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

الفصول العشرة ص : ١٢٤

و لم يكن لمريم ع نبوة و لا رسالة لكنها كانت من عباد الله الصالحين المعصومين من الزلات. و أخبر سبحانه أنه أوحى إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فآلقيه فى اليم و لا تخافى و لا تحزنى إنا رادوه إليك و جاعلوه من المرسلين. و الوحي معجز من جملة معجزات الأنبياء ع و لم تكن أم موسى ع نبية و لا رسولة بل كانت من عباد الله البررة الأتقياء. فما الذى ينكر من إظهار علم يدل على عين الإمام ليطمئن به عمن سواه لو لا أن مخالفينا يعتمدون فى حجاجهم لخصومهم الشبهات المضمحللات فصل

و قد أثبت فى كتابى المعروف بالباهر من المعجزات ما يقنع من أحب معرفة دلالتها و العلم بموضوعها و الغرض فى إظهارها على أيدي أصحابها و رسمت منه جملة مقنعة فى آخر كتابى المعروف بالإيضاح فمن أحب الوقوف على ذلك فليلتسمه فى هذين الكتابين يجده على ما يزيل شبهات الخصوم فى معناه إن شاء الله تعالى.

الفصول العشرة ص : ١٢٥

فهذه جملة الفصول التى ضمنت إثبات معانيها ليتضح بذلك الحق فيها ليعتبر به ذوى الألباب و قد وفيت بضماني فى ذلك و الله الموفق للصواب و صلى الله على سيدنا محمد النبى و آله و سلم كثيرا و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم وحده وحده